القاضي ابن الحذاء (٣٤٧هـ – ٤١٦هـ) واثره العلمي

Alqadi abn alhidha' (347 hi – 416 h)

م.م. حسين عبد الله رضيوي

mu.m husayn eabd allah ridayawi

جامعة المستنصرية / كلية الآداب

husseeinredh@uomustansiriyah.edu.iq

husseeinredh@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص :

القاضي ابن الحذاء أبو عبدالله محمد بن يحيى ، يهدف هذا البحث الى بيان شخصية القاضي ابن الحذاء ، وتناول التعريف بشخصيته وابرز صفاته وسيرته العلمية والشيوخ الذين اخذ العلم والفقه والقضاء منهم وعنهم ، وكذلك من تخرج وروى عنه الكتب والاحاديث والمسائل على مذهب مالك وشمل البحث الحديث عن كتب ومؤلفات ابن الحذاء والمناصب التي تم تكليف ابن الحذاء بها والرحلات العلمية التي قام بها الى القيروان ومصر والحجاز وكيف ادار هذه المهام ومارس التدريس واصبح له مدرسة خاصة له على مذهب مالك ٠

الكلمات المفتاحية : (ابن الحذاء – الفقيه – المالكي – القاضي – الاندلس –قرطبة)

almulakhas :

alqadi aibn alhidha' 'abu eabd allah muhamad bin yahyaa , yahdif hadha albahth alaa bayan shakhsiat alqadi aibn alhidha' , watanawal altaerif bishakhsiatih wabiraz sifatih wasiratih aleilmiat walshuyukh aladhin akhudh aleilm walfiqh walqada' minhum waeanhum , wakadhalik man takharaj warawaa eanh alkutub walahadith walmasayil ealaa madhhab malik washumil albahth alhadith ean kutub wamualafat aibn alhidha' walnaasib alati tama taklif aibn alhidha' biha walrihlat aleilmiat alati qam biha alaa alqayrawan wamisr walhijaz wakayf adar hadhih almahami wamaras altadris waisbah lah madrasat khasat lah ealaa madhhab malik .

alkalimat almiftahiat : (abn alhidha' – alfaqih – almalikiu – alqadi – aliandlis – qurtiba)

المقدمة :

لا يخفى على الدارس للمذهب المالكي ما قدمه علماء الغرب الإسلامي لمذهبهم في مجال تدوين النوازل والفتاوى على مر العصور، فقد خلف جماعة منهم تآليف عليها معول القضاة والمفتين، وعليها المعتمد، وإليها المرجع إلى الآن، مثل: ابن الحذاء و ابن الحاج التجيبي، والبرزلي، والمازوني، والونشريسي، وغيرهم وفي هذا البحث نتناول شخصية القاضي ابن الحذاء ودوره في الحياه العامة في الاندلس من خلال المناصب التي عمل بيها وكان له دور في نشر علوم المذهب المالكي من خلال التدريس في المدرسة الخاصه به

اسمه ونسبه :

أبو عبدالله محمد بن يحيى بن محمد بن عبدالله بن محمد بن يعقوب بن داود التميمي (عياض، ١٩٨٣، صفحة ج٨/٥) ؛ (الصفدي، ٢٠٠٠، صفحة ١٢٩/٥) ؛ (الذهبي، د.ت، صفحة ٤٤٤/١٧) .

القابه وكنيته:

يكنى أبو عبدالله من القابه القرطبي نسبه الى مدينه قرطبة (الذهبي، د.ت، صفحة ٤٤٤/١٧) ويكنى بالمالكي نسبه الى المذهب المالكي (الصفدي، ٢٠٠٠، صفحة ١٢٩/٥) وابن الحذاء وهكذا اشتهروا بابن الحذاء بالذال المعجمة وقال ابن عفيف : انهم يأبون ذلك ويقول هو بالدال مهملة من حداء الابل وان جدهم الذي ينسبون اليه هو يعرف بانجشة حادي رسول الله (صلى الله عليه واله) ولكن لما سكن اولنا في ربض الحذائين بقرطبه تصحف على الناس نسبنا لقرب الحرفيين (عياض، ١٩٨٣، صفحة ٥/٨)

حياته:

ولد أبو عبدالله محمد بن يحيى في كنف والدة في المحرم سنه (٣٧٤هـ / ٩٥٨ م) في قرطبة وكان والدة قد زرع لبنى الأولى في طريق العلم حيث كان يشرف على ان يتربى تربيه علميه صحيحة منذ نعومة اظافره ،وكان جدهم داود أمير قوم فكان صدراً في بني امية ، موالي يني امية وهو الداخل الى الاندلس من الشام ، وكان بنوه ذوي وجاهة في اعمال السلطان بالاندلس من التقدم على مهم الاعمال والتصريف في الأمور الجليلة ، في عمر أربعة عشر عام (الذهبي، د.ت، صفحة ٤٤٤/١٧) تولى الفقيه أبو بكر محمد بن بقي ابن زرب القرطبي المالكي صاحب التصانيف واحفظ اهل زمانه لمذهب مالك سمع قاسم ابن اصبغ وجماعة ، وولى القضاء سنه (٣٦٧هـ / ٩٧٧م) الى ان مات وكان المنصور بن ابي عامر يعظمة ويجلسه معه ، وكانت وفاته سنه (٣٨٢هـ/ ٩٩٢م) (الذهبِّي، ١٩٨٥، صفحة ٢٣١/٢) ، تفقه اب الحذاء مع ابن زرب في الرأي والاحكام واصبح له مكانة في المجتمع الاندلسي ، ثم تولى خطة الوثائق السلطانية ، وخرج عن قرطبة في الفتنة (عياض، ١٩٨٣، صفحة ٥/٨) واستقر بالثغر الأعلى ، وتولى القضاء ببجاية ثم باشبيلية ، وكان مع القضاء في عدد المشاورين بقرطبة وتولى القضاء في تطيلة ، ثم نقل منها الى قضاء سالم ، ثم سار الى سرقسطة الى ان توفي فيها (اليافعي، ١٩٩٧م، صفحة ٢٩/٣) .

اثره العلمي :

كان ابن الحذاء من علماء الاندلس الذين رحلوا الى بلاد الحجاز لأخذ الفقه من أهل السبق فيه وكان لهم الفضل في نقل ذلك لبلادهم خاصة انها بلاد بعيدة بها دوما الجديد من المسائل التي تحتاج الى تعقل ودراية بالأصول التي يمكن الاستفادة منها في ذلك عن طريق التدريس التي اخذها عن طريق الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم ، وبعد ذلك بداء نشر نتاجه العلمي عن طريق تلاميذه الذين سيلي ذكرهم :

شيوخ القاضي ابن الحذاء :

١- ابن عيسى الليثي : (ت: ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م)

يحيى بن يحيى بن كثير ،هو يكنى بابي عيسى وهو الداخل الى الاندلس ويكنى أبا محمد ، سمع من زياد بن عبد الرحمن : موطا مالك ابن انس ، ثم رحل الى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك ابن انس الموطا غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك في سماعها فاثبت روايته فيها عن زياد وسمع عن نافع بن ابي نعيم القارى وسمع بمكة من سفيان بن عينة توفي سنة (ت ٢٣٤هـ) (القرطبي، ١٩٧٥، صفحة ٢٤) وكان ابن الحذاء روى عن ابن عيس لليثي بالوساطة وليس بشكل مباشر كونه لم يدركه (عياض، ١٩٨٣، صفحة ٦/٨)

٢- أبو عبدالله الخزار : (ت٣٥٩هـ/ ٩٦٩م)

محمد بن احمد بن محمد الفارسي ، من اهل القيروان يكنى أبا عبدالله ويعرف بابن الخراز سكن قرطبة ، سمع بالقيروان من احمد بن زياد واحمد بن محمد القصري ابن الاعرابي وجماعة ، سمع بالإسكندرية من علي بن عبدالله بن ابي مطر وقدم الاندلس ،فكان متجولا بين قرطبة وشذونة واشبيلية ثم استقر بقرطبة وسمع الناس منه كثيراً ، توفي يوم الثلاثاء لثمان بقين من ذي القعدة سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩م (الفرضي، ١٩٨٨م، صفحة ١٥٨/١) روى عنه ابن الحذاء (الضبي، ١٩٨٨م، صفحة ١٨٨/١) .

٣- ابي عمر احمد بن ثابت التغلبي (ت: ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)

احمد بن ثابت بن الزبير ابو عمر التغلبي القرطبي ، سمع من عبيدالله بن يحيى ، وحدث عنه بالموطأ وسمع من سعيد بن عثمان الاعناقي وطاهر بن عبد العزيز وجماعة وكان صالحا ثقة توفي سنة ٣٦٠هـ (الذهبي ش.، ١٩٩٧م، صفحة ١٩٩/٢٦) ، روى عنه ابن الحذاء (الذهبي ش.، ١٩٩٧م، صفحة ٢٧٥/٩)

٤-- أبو عبدالله بن مفرج : (٣٧١هـ/ ٩٨١م)

محمد بن مفرج بن عبدالله بن مفرج المعافيري ، من اهل قرطبة يكنى أبا عبدالله سمع من قاسم ابن اصبغ وغيره ، رحل الى المشرق سمع بمكة من ابن الاعرابي وكان يعتنق مذهب ابن مسرة ويدعو اليه توفي في ليلة السبت لست خلون من شهر رمضان سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١م (الفرضي ا.، د.ت، صفحة ٨٤/٢) ، وكان القاضي والفقيه ابن الحذاء روى عنه (الضبي، د.ت، صفحة ١٨٨/١)

٥- خطاب ابن مسلمة : (٣٧٢هـ/ ٩٦٩م)

خطاب ابن مسلمة بن محمد بن سعيد بن بترى بن إسماعيل الابادي من اهل قرمونة سكن قرطبة يكنى أبا المغيرة ، سمع من محمد بن عمر بن لبابة ، واسلم بن عبد العزيز كان حافضاً للراي ، بصيراً بالنحو والغريب نبيلاً توفي يوم الجمعة لاثنتي عشر ليلة بقيت من شوال سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م (الفرضي أ.، ١٩٨٨م، صفحة ١٥٨/١) ، كان ابن الحذاء يروي عنه (عياض، ١٩٨٣، صفحة ٦/٨)

٦- ابي محمد الباجي : (٣٧٨هـ/ ٩٨٨م)

عبدالله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة اللخمي المعروف بابن الباجي الاشبيلي ، كان حافظاً ضابطاً متقناً بصيراً بمعاني الحديث ، روى الناس عنه كثيراً توفي سنة ٣٧٨هـ (الذهبي ش.، د.ت، صفحة ٧٤/١٧) .

٧- ابي جعفر بن عون : (٣٧٨هـ/ ٩٨٨م)

احمد بن عون الله بن حدير بن يحيى بن تبع بن تبيع البزاز من اهل قرطبة يكنى أبا جعفر ، ولد سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م ، سمع من قاسم بن اصبغ ومحمد بن عبد الله بن ديلم ، كان شيخاً صالحاً صدوقاً في السنة متشدد على اهل البدع وكان لهجا بهذا النوع صبوراً على الأذى فيه (الفرضي أ.، ١٩٨٨م، صفحة ٦٧/١) روى عنه ابن الحذاء (الذهبي ش.، د.ت، صفحة ٤٤٤/١٧)

٨- أبا محمد الاصيلي : (٣٩٢هـ / ١٠٠١م)

عبدالله بن إبراهيم بن محمد الاصيلي ، الحافظ الثقة العلامة الفقيه أبو محمد الاندلسي مصنف كتاب الدلائل وغيره توفي سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م (الغزي، ١٩٩٠، صفحة ١٣٩)

٩-ابن اسد الجهني : (ت:٣٩٥هـ/١٠٠٥م)

العلامة عالم الاندلس أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن اسد الجهني الطليطلي المالكي البزاز ولد سنة ٣١٠هـ سمع من ابن اصبغ وارتحل فسمع من ابي محمد ابن الورد وابي علي بن السكن بمصر روى عنه أبو عمر بن عبد البر وأبو المطرف بن فطيس والخولاني وأبو عبدالله ابن الحذاء وكان ذا ورع واتقان وتلاوة في المصحف (الذهبي ش.، د.ت، صفحة ٨٤/١٧)

١٠- سعيد بن نصر : ٣٩٥هـ/ ١٠٠١م)

المحدث الورع أبو عثمان مولى الناصرلدين الله الاموي صاحب الاندلس ، حدث عن القاسم بن الاصبغ واحمد بن المطرف ومحمد بن معاوية عني بالرواية والضبط ، روى عنه أبو عمربن عبد البر وابن الحذاء (الذهبي ش.، د.ت، صفحة ٨٠/١٧) .

١١-عبد الوارث بن سفيان : (٣٩٥هـ/ ١٠٠١م)

ابن جبرون بضم الجيم المحدث الثقة العالم الزاهد أبو القاسم القرطبي الملقب بالحبيب اكثر من قاسم ابن اصبغ وعن وهب بن مسرة ومحمد بن عبدالله بنابي دليم روى عنه ابومحمد الاصيلي وأبو عمران الفاسي وابن الحذاء (الذهبي ش.، د.ت، صفحة ٨٤/١٧)

تلاميذه :

١- الصاحبان : (٤٠٠هـ /١٠٠٩م - ٤٠٢هـ /١٠١١م)

الحافظ شنظير إبراهيم بن محمد بن حسين شنظير ، وأبو إسحاق الاموي الطليطلي الحافظ صاحب ابي جعفر ميمون الطليطلي ويقال لهما الصاحبان لانهما كانا في طلب العلم معا كفرسي رهان سمعا في طليطلة ، ورحلا الى قرطبة وسمعا بها وسمعا بسائر بلاد الاندلس ، ورحلا الى المشرق وكانا لايفترقان توفي الحافظ شنظير سنة ٤٠٢هـ وتوفي أبو جعفر بن ميمون سنة ٤٠٠هـ (القرطبي، ١٩٧٥، صفحة ج٦ /٦٩ /ج٨/٨٢) روى عن ابن الحذاء (الذهبي ش.، د.ت، صفحة ٤٤٤/١٧)

٢- الخولاني : (٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م)

احمد بن عبد الرحمن بن عبدالله الخولاني أبو بكر ، من اهل القيروان وشيخ فقهائها في وقته مع صاحبه ابي عمران الفاسي ، وكان أبو بكر فقيهاً حافظاً ديناً ، حاز الذكر ورياسة الدين في المغرب مع صاحبة في وقته حتى لم يكن لأحد معهما في المغرب اسم يعرف توفي سنة ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م (فرحون، ١٩٩٦م، صفحة ٣٧/١) روى عن ابن الحذاء (الذهبي ش.، ١٩٩٧م، صفحة ج٢٧٥/٩)

٣- أبو عمر بن سميق : (٤٥١هـ/ ١٠٥٩م)

أبو عمر احمد بن يحيى ين احمد بن سميق القرطبي نزل طليطلة ، محدث وقته روى عن ابي المطرف بن فطيس ، وابن زمنين ، وكان قوي المشاركة قي عدة علوم حتى قي الطب توفي سنة ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م (الذهبيً، ١٩٨٥، صفحة ٢٤٨/٢) روى عن ابن الحذاء (الذهبي ش.، ١٩٩٧م، صفحة ٢٧٥/٩)

٤- أبو عمر بن عبد البر : (٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)

أبو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ، شيخ الإسلام حافظ المغرب ولد في ربيع الاخر سنة (٣٦٨هـ/ ٩٧٨م) ، فقيه حافظ مكثر عالم بالقراءات وبالخلاف وبعلوم الحديث والرجال ، يحب السماع يميل الى الفقه واقوال الشافعي مات أبو عمر ليلة الجمعة ربيع الاخرة سنة (٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) (ألذهبي، ١٩٩٨م، صفحة ٢١٧/٣) ، وكان من الين روى عن ابن الحذاء (الذهبي ش.، ١٩٩٧م، صفحة ٢٧٩/٩)

٥- حاتم بن محمد : (٤٦٩هـ/ ١٠٧٩م)

حاتم بن محمد بن عبد الرحمن ، أبو القاسم التميمي القرطبي المعروف بابن الطرابلسي أصله من طرابلس الشام ، شيخ معمر محدث مسند مولده بخط جده في نصف شعبان سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٧م ،سمع من ابي المطرف بن فطيس الحاكم ،وعمر بن حسين بن نابل الاموي صاحب قاسم بن الا صبغ ، رحل سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م ، وحمل صحيح مسلم ودخل بلد الاندلس بعلم جم وسكن طليطلة واخذ بها عن ابي عباس الخطيب ، وخلف بن احمد وعلي بن إبراهيم التبريزي ، وكانت وفاته سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٩م (الذهبي ش.، ١٩٩٧م، صفحة ج٢٨٣/٣١) وكان ممن روى عن ابن الحذاء

رحلاته العلمية :

كانت اهم فوائد الرحلات العلمية هي نقل اهم العلوم التي كانت ببلاد الحجاز ، واوسعها انتشار الى بلاد الاندلس وأصبحت هي الأكثر شيوعا بالاندلس كما لو كانت متزامنة الظهور في نفس الوقت مع بلاد الحجاز وصار اثر ذلك واضحا ، وتنوع الحلقات العلمية ، وانتشار المكتبات ، فالباحث يتخذ الاتجاه الأوحد للقادمين من بلاد الحجاز فقط ، مما أدى الى تطور النهضة العلمية عامة ببلاد الاندلس بفضل هؤلاء العلماء العائدون من بلاد الحجاز ، وكان الفقيه ابن الحذاء له عدة رحلات الى القيروان والى مصر والى بلاد الحجاز :

رحلة الى القيروان:

رحل ابن الحذاء الى القيروان ولقي فيها ابن ابي زيد القيرواني وسمع منه الكثير، وكان عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد بن ابي زيد فقيه القيروان ،وشيخ المالكية بالمغرب ، كان أبو محمد قد جمع مذهب مالك وشرح أقواله وكان واسع العلم كثير الحفظ ذا صلاح وورع وعفة ونجيب اصحابه وهو الذي لخص المذهب وملىء البلاد من تواليفه ، وكان يسمى مالك الصغير وصنف النوادر والزيادات نحو المائة جزء وإختصر المدونة ، وعلى هذين الكتابين المعول في الفتيا بالمغرب وكتاب الرسالة وهو مشهور ، وقيل انه صنفها في سبع عشرة جزء ، توفي سنة (٣٨٦هـ/ ٩٩٦م) (الصفدي، ٢٠٠٠، صفحة ج١٧ /١٣١) ، روى عنه ابن الحذاء كثيراً (الضبي ا.، ١٩٨٨م، صفحة ج١ / ١٨٨)

رحلة الى مصر:

انتقل ابن الحذاء من القيروان الى مصر في رحلة في طلب العلم ، وبعد ان تفقه على يد ابي زيد القيرواني في القيروان رحل الى مصر ولقي فيها عدة شيوخ تفقه على يد مجموعة من فقهاء فتفقه عندهم ، وسمع منهم متفقهاً في الحديث والمذهب وارتفعت طبقته في العلم ، ومنهم :

١- الجوهري : (٣٥٨هـ/ ٩٦٨م)

عبد الرحمن بن عبدالله بن محمد الغافقي الجوهري أبو القاسم ، سمع كثيراً الحديث من شيوخ الفسطاط وكبار فقهاء المالكية ، كان فقيها ورعاً منقبضا من جلة الفقهاء ،قد لزم بيته لا يخرج منه ، قال: الباجي : لابأس به، الف كتاب مسند الموطأ وكتاب مسند مالبس في الموطأ توفي سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م) (فرحون، ١٩٩٦م، صفحة ج١ /٤٧٠) كان من شيوخ ابن الحذاء في مصر (عياض، ١٩٨٣، صفحة ٦/٨) .

٢- ابن خليفة :

أبو القاسم هشام بن محمد بن قرة بن ابي خليفة الفقيه العلامة المالكي من علماء مصر توفي يوم الخميس لسبع بقين من العقدة دفن يوم الجمعة سنة ٣٧٦هـ (الحبال، ١٩٨٧م، صفحة ٢٦) سمع منه الفقيه ابن الحذاء (عياض، ١٩٨٣، صفحة ٦/٨)

٣- ابن يحيى الدمياطي : (ت:٣٨٤هـ /٩٩٤م)

أبو بكر محمد بن يحيى بن عمار الدمياطي ، سمع من ابي عبيد بن حربويه روى عنه أبو عمر احمد بن الطلمنكي ، ويحيى بن علي ابن الطحان والمصريون توفي سنة (٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) (الذهبي ش.، د.ت، صفحة ج١٦ /٥٠٤) سمع منه وروى ابن الحذاء (الذهبي ش.، ١٩٩٧م، صفحة ٢٧٥/٩)

٤- المهندس : (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)

أبو بكر احمد بن محمد بن إسماعيل المهندس ولد سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠١م من علماء مصر ومحدثيها ، تميز بالحديث وكان صالحاً ورعاً روى عنه يحيى ابن الطحان ، توفي يوم السبت لسبع بقين من ربيع الأول ودفن يوم الاحد سنة ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م (الحبال، ١٩٨٧م، صفحة ٣٥) سمع منه ابن الحذاء في مصر (عياض، ١٩٨٣، صفحة ٦/٨)

٥- أبو علاء بن ماهان : (ت: ٣٨٧هـ/٩٩٧م)

هو عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الرحمن بن ماهان البغدادي ، حدث بمصر عنى ابي بكر احمد بن محمد بن يحيى الأشقر الفقيه ، روى عنه أبو بكر يحيى بن محمد الاشعري ، واحمد بن الفتح بن الواساني المعافيري ومحمد بن يحيى ابن الحذاء والاندلسيون وقد كتب الدار قطني الى أهل مصر ليكتبو عن ابن ماهان كتاب مسلم ووصفه بالثقة والتميز (الذهبي ش.، ١٩٩٧م، صفحة ج٢٧ /١٦٠) .

٦- الادفولي : (ت:٣٨٨هـ/٩٩٨م)

أبو بكر محمد بن علي الادفولي المقري المصري النحوي المفسر صحب أبو جعفر النحاس ولازمه ،سمع الحديث من سعيد بن السكن وغيرة ، وله كتاب تفسير القران في مائة وعشرين مجلد (السيوطي، ١٩٧٦م، صفحة ٩٧) روى عنه ابن الحذاء (عياض، ١٩٨٣، صفحة ٧/٨)

٧- ابن غلبون : (ت: ٣٨٩هـ / ٩٩٩م)

أبو الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي المقري نزيل مصر وسمع من جماعة في الحديث والفقه ولد سنة(٣٠٩هـ/ ٩٢١م) ومات في مصر سنة ٣٨٩هـ

في جماد الأولى (السبكي، ١٩٩٢، صفحة ٣٣٨/٣) روى عنه ابن الحذاء (عياض، ١٩٨٣، صفحة ج٧/٨)

<u>الرحلة الى الحجاز :</u>

توجهت الهجرة الاندلسية الى أرض الحجاز منذ القدم ، اذ كان معظم المثقفين الاندلسيين يتوجهون للحج فيطلبون العلم العلي على يد الأئمة هناك ، ويعودون الى بلادهم منارة يهتدى بها واتضح ذلك جلياً في القرنيين ٥-٦هـ/١١-١٢م ، وكان لشدة تعلق الاندلسيين بالمشرق عامة والحجاز خاصة لم تكن مدة إقامتهم محددة فهي تطول او تقصر حسب أكتفاء في مدة المكوث ، فمنهم من يطول ومنهم من يقصر فالحد الدنى كان سنة الى ثلاثة سنوات ، حتى ان كتب التراجم لم تشر في كثير من الأحيان الى الفترة التي يقضيها طلبة العلم في المشرق (الكتاني، ٢٠٠٥م) ، وتتمثل أهمية الرحلة الى بلاد الحجاز في وجود سبب جوهري وهو وجود مكة المكرمة ام القرى فكل راحل للطلب العلم يدرك تمام الادراك ان هذه المدينة تفضل أي مدينة في العلم ، وانه يجب ان يقدر هذا المكان حق التقدير (أبوزيد، ٢٠٠٦م، صفحة ٢٨) فاغلب العلماء الذين كان ذا اثر هام لبلاد الاندلس كانت مكة والمدينة أيضا مقصدهم ومحور طلبهم للعلم مهما تعددت المدن التي زراها وهذه النقطة المحورية ، كان المتعارف عليه آنذاك في بلاد الحجاز أخذ العلوم الدينية والشرعية بجانب من الأولوية في الدراسة و التخصص من عرب الحجاز انفسهم ، او حتى ممن دخل الإسلام حديثاً من الموالي ، ثم الانتقال الى فروع العلم الأخرى ،

لهذا نبغ الكثيرون منهم في ذلك ، ولما هاجر الاندلسيون الى المشرق سارو على دربهم ونهجوا نهجهم ويتضح ذلك في القاضي ابن الحذاء الذي رحل الى الحجاز سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٢م وسمع ولقي بمكة :

١- ابن احمد الدينوري : (٣٦٤هـ/٩٧٤م)

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن احمد الدينوري نزل مكة ولزمها ، حدث عن ابي بكر بن الجهم وابراهيم بن حماد وغيرهم ، فقيه مالكي حدث عنه أبو ذر الهروي وأبو عبدالله بن الحذاء وغيرهم قال أبو عبدالله ابن الحذاء لقيته بمكة سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م وتركته حياً نيف على ٨٠ سنة (فرحون، ١٩٩٦م، صفحة ١٤٣)

٢-أبو عبدالله البلخي : (٣٧٣هـ/ ٩٨٣م)

محمد بن احمد بن إبراهيم البلخي أبو عبدالله ولد بمكة قرا على محمد بن هارون صاحب اليزني وسمع العقيلي والديبلي ، قرأ عليه : عبد الباقي بن الحسن وابن الحذاء كانت وفاته سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م (الذهبي ش.، ١٩٩٧م، صفحة ٥٤٧/٢٦)

٣- أبو يعقوب يوسف بن احمد الصيدلاني :(٣٨٨هـ/ ٩٨٨م)

ابن الدخيل يوسف بن احمد بن يوسف بن الدخيل أبو يعقوب الصيدلاني روى كتاب الضعفاء الابي جعفر العقيلي وروى عنه ابن الحذاء (الصفدي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٩/ ٤٠)

أراء العلماء في ابن الحذاء :

كان الفقيه ابن الحذاء من فقهاء الاندلس الذين برعوا في الحديث والرؤيا والادب وكانت له مؤلفات عدة ومارس القضاء بسبب علميته التي حصل عليها من رحلاته في طلب العلم ومن، ، شيوخه الذين اجازو له بالنقل منهم ومن خلال طلابه الذين اخذو منه ،ومن خلال هذه الأمور اصبح من علماء الاندلس الذين لم يسلط عليهم الأضواء ولكن كتب التراجم أوضحت أهمية علمية ابن الحذاء وسوف نورد بعض هذه الآراء :

قال عنه ابن خير الاشبيلي (ت: ٥٧٥هـ / ١١٧٩م)

((محدث الاندلس وقاضيها برع في الحديث)) (خير، ١٨٩٣م، صفحة ٢٦٧)

قال عنه الضبي (ت: ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)

((فقيه محدث حافظ له رحلات)) (الضبي ا.، ١٩٨٨م، صفحة ١٨٨/١)

قال عنه الذهبي (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)

((كان بصيراً بالفقه والحديث)) (الذهبي ش.، د.ت، صفحة ٤٤٤/١٧)

قال عنه الصفدي : (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)

((عارفاً بالحديث بارعاً في لأثر)) (الصفدي، ٢٠٠٠، صفحة ١٢٩/٥)

قال عنه ابن فرحون : (ت: ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م)

((العلامة المحدث سمع الكثير وروى الحديث)) (فرحون، ١٩٩٦م، صفحة ٣٦٧)

قال عنه ابن تغرى بردي (ت: ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)

((الحافظ المحدث العلامة ، سمع الكثير وروى الحديث وله كتب وصنف ومات في شهر رمضان)) (المحاسن، ١٩٩٢، صفحة ٢٦٥/٤)

قال عنه ابن العماد : (ت: ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)

((المحدث الفقيه علامة الاندلس)) (الحي، ١٩٨٩م، صفحة ٨٤/٥)

قال عنه الزركلي : (ت: ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)

((باحث اندلسي من علماء فقه الحديث)) (الزركلي، ٢٠٠٢، صفحة ١٣٧/٧)

مولفاته:

١- (كتاب الاستنباط في المعاني لسنن الاحكام) من احاديث الموطأ ٨٠ جزاء

٢- (كتاب التعريف برجال الموطأ) أربعة اسفار

٣- (كتاب البشرى في عبارة الرؤيا) شرح كتاب الكرماني خمسة عشر جزاءاً

٤-(كتاب الأنباه على أسماء الله)

٥-(كتاب الخطب والخطباء) مجلدان (عياض، ١٩٨٣، صفحة ٧/٨)

وظائف ابن الحذاء :

١- القضاء :

الوظيفة التي ارتبط بها اسم ابي عبدالله بن الحذاء واكثر هي القضاء ، ومترجموه يذكرون ان استقضي في عدة جهات من الاندلس وذكر عياض منها اشبيلية وببجانة وتطيلة (عياض، ١٩٨٣، صفحة ٦/٨) ، ثم نقل الى قضاء مدينة سالم ثم سرقسطة الى ان توفي فيها (الزركلي، ٢٠٠٢، صفحة ١٣٦/٧) وبذالك يكون قد تنقل الى عدة مدن استقضي فيها ابن الحذاء ، متى بداء ابن الحذاء يمارس القضاء وذالك بعد ان ارتفعة منزلته العلمية وذلك بعد الرجوع من المشرق وكان ذلك في عهد قاضي الجماعة ابي بكر محمد بن يبقى بن زرب ، كان لابن الحذاء به علاقة متينة والى هذه الحقيقة يشير صاحب تاريخ القضاء في الاندلس بصريح العبارة حين يقول : ((وكان قاضي الجماعة ابن زرب صاحب مدرسة في الفقه ضم اليها أصحابه وتلاميذه اخذ بيدهم ، وقدمهم للشورى والقضاء في الكور الاندلسية في عهده ، واصبحوا فيما بعد من مشاهير فقهاء العصر وأصحاب النفوذ بقرطبة وكورها)) (خلاف، ١٩٩٢م، صفحة ٩٢) ، وكانت له منزلة خاصة من القاضي ابن زرب ، تفقه معه في الراي والاحكام وكان مع ذلك من عداد المشاورين بقرطبة (خلاف، ١٩٩٢م، صفحة ٩٣) ٠

الشورى :

تعتبر هذه الخطة مما تفردت به بلاد الغرب الإسلامي والاندلس ، عن بقية اقطار العالم الإسلامي في ذلك العهد وكان الخليفة هو الذي يعين أهل الشورى ، اعتماد على ترشيح قاضي الجماعة بقرطبة ، ويذكر المقري في معرض حديثه عن قرطبة وان ملوك المروانية ، كانوا يتواصون العلماء ويقدرونهم ويأخذون بالصائب من ارائهم ، ولا يقدمون وزيرا ولا مشاورا ما لم يكن عالما (التلمساني، ١٩٨٨م، صفحة ٢١/٣)

وكان تعيين المشاورين من قبل ولي الامر بظهير ، وكانت أجرتهم الشهرية على عهد هشام المعتد بالله كما يقول شاهد عيان خمسة عشر دينار في الشهر (بسام، ١٩٩٧م، صفحة ق٣/ ج١/ ٥١٧) وان ابن الحذاء تولى الشورى في قرطبة ، كان ابن الحذاء قاضي قبل الفتنة وبعدها اصبح مشاور وكان ذلك قبل لحاقه بالثغر الأعلى ٠

الوثائق السلطانية :

يبدو من خلال تتبع التراجم ان هذه الخطة كانت تسند لمن يختاره السلطان من كبار الفقهاء ، وغالبا ما يكون من المشاورين او من القضاة ، ان أبو عبدالله بن الحذاء تولى الوثائق السلطانية (عياض، ١٩٨٣، صفحة ٦/٨) على عهد المظفر عبد الملك بن ابي عامر، وانه ظل في هذه الخطة على عهد المظفر ثم عهد أخيه عبد الرحمن شنجول ٠

التدريس :

على رغم من الوظائف الرسمية التي تولاها أبو عبدالله ابن الحذاء كالقضاء والشورى والوثائق السلطانية ، فانه كان الى جانب ذلك يشتغل بالتدريس ونشر العلم في كل مكان حل به ، كانت قرطبة المركز لأول الذي ساهم ابن الحذاء في تنشيط الدرس بها والى جانب قرطبة حدت أبو عبدالله بمدينة سالم وروي عنه بسرقسطة (ألمراكشي، د.ت، صفحة ٥٢٥/١) ، اما المواد التي تولى ابن الحذاء تدريسها فياتي في مقدمتها الحديث خصوصا صحيح مسلم الذي يعد أبو عبدالله ابن الحذاء اشهر من ادخله الى الاندلس (الاشبيلي، د.ت، صفحة ١٠٢) ٠

وفاته :

توفي أبو عبدالله ابن الحذاء بسرقسطة يوم السبت قبل طلوع الشمس لاربع خلون من شهر رمضان سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م وهو ابن سبعين سنة (عياض، ١٩٨٣، صفحة ٧/٨) ودفن بباب القبلة على مقربة من قبر حنش بن عبدالله الصنعاني احد التابعين ، وكان أبو عبدالله ابن الحذاء قد اوصى ان يدخل في اكفانه كتابه المعروف (الانباه على أسماء الله) ،فلما مات نثرو ورقه وجعل بين القميص والاكفان (بشكوال، ٢٠١٠م، صفحة ١٠٦/١) ، ولعله استوحي الفكر من قبل المنصور بن ابي عامر الذي أوصى ان ينثر على جسده بعد موته غبار المنفوض من ثيابه عقب غزواته ، وكان يوم جنازته غيث عظيم من الناس وصل عليه الزاهد أبو الاصبغ البشتري ومشي في جنازته المعتمد على الله محمد بن عباد راجلاً (بشكوال، ٢٠١٠م، صفحة ١٠٦/١)

الخاتمة :

١- ان ابن الحذاء يعود الى الجذور النسبيه الى قبيلة تميم وتم تثبيت ذالك

٢- اشتهر ابن الحذاء بكثرة شيوخه وتلاميذه في الا ندلس والقيروان ومصر وبلاد الحجاز

٣- تولى ابن الحذاء اكثر من منصب على مدار حياته العلمية ومنها القضاء والخطط السلطانية والشورى والتدريس

٤- كان محباً للعلم وذالك بدى واضحاً من خلال رحلاته العلمية الى عدة بلاد منها القيروان ومصر وبلاد الحجاز وكانت مكة المكرمة محور العلماء الأول في طلب العلم

٥- كان معاصر الى الفقيه ابن زرب الذي يعد الاب الروحي الى ابن الحذاء وكان صاحب الفضل في تولي المناصب التي تم توكيله بها

٦- انه من واقع رحلات العلماء الاندلسيين الى مكة المكرمة خلال القرن الخامس والسادس الهجريين تتضح أهمية الحرم المكي باعتباره محطة علمية للاندلسيين

٧- أهمية الحواضر الاندلسية الكبرى على تيار الرحلة الى مكة المكرمة

٨- إصرار الفئة المثقفة الاندلسية على التواصل والاتصال مع نظيرتها المشرقية

قائمة المصادر والمراجع :

إبراهيم بن سعيد (ت: ٤٨٢هـ) أبو إسحاق الحبال. (١٩٨٧م). *وفيات قوم من المصريين ونفر سواهم من سنة ٣٧٥هـ.* (تح: محمود بن محمد، المحرر) الرياض: دار العاصمة.

إبراهيم بن نور الدين المالكي (ت: ٧٩٩هـ) ابن فرحون. (١٩٩٦م). ، ، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب.* (تح: مأمون بن محي الدين، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الفرضي. (د.ت). *تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس.*

ابن خير الاشبيلي. (د.ت). *فهرست ابن خير .*

ابن عبد الملك ،ابي عبدالله محمد بن الانصاري (ت: ٧٠٣هـ) ألمراكشي. (د.ت). *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة.* (تح: محمد بن شريفة، المحرر) بيروت: دار الثقافة.

أبو الوليد بن محمد بن يونس الازدي (ت: ٤٠٣هـ/ ١٠٢م) ابن الفرضي. (١٩٨٨م). *تاريخ العلماء والرواة للعلم بلاندلس.* (تح: عزت العطار الحسيني، المحرر) القاهرة: مطبعة المدني.

ابي الحسن علي الشنتريني (ت:٥٤٢هـ) ابن بسام. (١٩٩٧م). *الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة.* (تح: احسان عباس، المحرر) بيروت: دار الثقافة.

ابي القاسم خلف الانصاري الخزرجي الاندلسي (ت: ٥٧٨هـ) ابن بشكوال. (٢٠١٠م). *الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم.* (تح: بشار عواد معروف، المحرر) تونس: دار الغلاب الإسلامي.

ابي محمد عبدالله بن اسعد بن علي (ت: ٧٦٧هـ) اليافعي. (١٩٩٧م). *مرأة الجنان وعبرة اليقضان.* (تحقيق : خليل المنصور، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

احمد بن محمد (ت: ١٠٤١هـ) التلمساني. (١٩٨٨م). *نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب*. (تح: احسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.

احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت: ٥٩٩هـ) الضبي. (١٩٨٨م). *بغية الملتمس في تاريخ أهل الاندلس*. (تح: إبراهيم الابياري، المحرر) بيروت: دار كتاب للبناني.

السيوطي،عبد الرحمن بن ابي بكر(٩١١هـ/١٥٠٥م) السيوطي. (١٩٧٦م). *طبقات المفسرين*. (تح: علي محمد عمر، المحرر) القاهرة: مكتبة وهبة.

الضبي. (د.ت). *بغية الملتمس في تاريخ اهل الاندلس* .

بن موسى بن عياض السبتي (ت : ٥٤٤ هـ) القاضي عياض. (١٩٨٣). *ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك*. (حقيق : سعيد احمد عراب، المحرر) المملكة المغربيه: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت:٧٧١هـ) السبكي. (١٩٩٢). *طبقات الشافعية الكبرى*. (تح: محمود محمد الطناحي، المحرر) القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر.

جمال الدين يوسف الاتابكي (ت: ٨٧٤هـ) ابي المحاسن. (١٩٩٢). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*. (تح: محمد حسين شمس الدين، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

حيان بن خلف بن حسين بن حيان (ت: ٤٦٩هـ) أبو حيان القرطبي. (١٩٧٥). *المقتبس من أنباء الاندلس*. (تحقيق: محمود علي مكي، المحرر) القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

خير الدين (١٣٩٦هـ) الزركلي. (٢٠٠٢). *الاعلام* . دار العلم للملايين.

سهام أبوزيد. (٢٠٠٦م). *الرحلة في طلب العلم الى مكة المكرمة من خلال الرحالة ابن حوقل عام ٣٣١هـ/٩٤٢م*. السعودية: بحث مقدم الى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية.

شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت: ١١٦٧هـ) الغزي. (١٩٩٠). *ديوان الإسلام*. (تح: سيد كسروي حسن، المحرر) بيروت: دار كتب العلمية.

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ) الذهبِّي. (١٩٨٥). *العبر في خبر من غبر*. (تحقيق محمد السعيدى بن بسيوني، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ) الذهبي. (١٩٩٧م). *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام*. (تح: عمر عبد السلام، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ) ألذهبي. (١٩٩٨م). *تذكرة الحافظ*. (تح: زكريا عميرات، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ) الذهبي. (د.ت). *سير اعلام النبلاء*. (تحقيق : شعيب الارناؤوط و محمد نعيم، المحرر) بيروت: مؤسسة الرساله.

شهاب الدين ابي فلاح الدمشقي (ت١٠٨٩هـ) عبد الحي. (١٩٨٩م). *شذرات الذهب في اخبار من ذهب*. (تح: محمود الارناؤوط، المحرر) بيروت: دار ابن كثير.

صلاح الدين خليل ابن ايبك (ت :٧٦٤ هـ) الصفدي. (٢٠٠٠). *الوافي بالوفيات*. (تحقق : احمد الارناؤوط، المحرر) بيروت: دار احياء التراث العربي.

علي بن محمد المنتصر بالله (ت: ١٤٢٢هـ) الكتاني. (٢٠٠٥م). *ابعاث الإسلام في الاندلس*. بيروت : دار الكتب العلمية .

فهرست ابن خير. (١٨٩٣م). *فهرست* . القاهرة : مكتبة الخانجي.

محمد عبد الوهاب خلاف. (١٩٩٢م). *تاريخ القضاة في الاندلس* . القاهرة : المطبعة العربية الحديثة .